الاقناع الصوتي الايقاعي في شعر العصبة الاندلسية نماذج مختارة

د. علاء حازم محمد
مدرس/مديرية تربية ذي قار, alaa.hazzim@gmail.com

الملخص

الاقناع ظاهرة خطابية تتمثل في أبعاد لغوية وذهنية، ترتبط بالأساليب اللغوية والعقلية، ومن الابعاد اللغوية التي تجري فيها هو البعد الايقاعي الصوتي فهو لغوي في بناءه اللفظي، إذ لا يظهر في النص إلا عبر الوحدات اللغوية المتعاقبة في الترتيب أو التنظيم النسيجي للنص، كالوزن أو القافية أو غيرهما، مما يقوم على الصوت، فيُدرك عبر التمثيل اللغوي في المجزات الادبية: النثرية أو الشعرية. وبذلك يكون الايقاع الصوتي مظهراً اقناعياً يوظف في سياق الكلام بغية إحداث التأثير في المتلقي، بحيث يمكن أن يتقبل الفكرة التي سيق الكلام لأجلها. وفي هذا البحث يتم تسليط الضوء على بعض مظاهر الاقناع المتجلي عبر المظاهر الصوتية في الايقاع الشعري للعصبة الاندلسية، بأخذ نماذج مختارة من شعر هذه العصبة، ثم بيان كيفية تجلي الاقناع الصوتي الايقاعي فيها.

الكلمات المفتاحية : الاقناع، الايقاع، العصبة الاندلسية، الوزن، القافية.

الباحث : علاء حازم محمد
الايميل : alaa.hazzim@gmail.com

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 4 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد 14, العدد 4 / الرقم المعياري 2707-5672

Rhythmic vocal persuas in the poetry of the Andalusian League selected models

Dr. Alaa Hazem Mohmmed

Teacher / Directorate of Education of Dhi Qar , alaa.hazzim@gmail.com

Abstract

Alaqnae zahirat wasieat alnitaq fi albued allughawii wadhihniatan, tartabit faqat bialtiqniaat allughawiat waleaqliati, wamin alaibiead allughawiat alati tajri fiha 'iibead alayqaei alsawtii fahu lughawiun fi bina'ih allafazi, 'iidh la yazhar fi alnasi 'iilaa eabr alwahadat allughawiat almutatabieat fi altanzim 'aw altanzim altanzimii lilnas, kalwazn 'aw alqafiat 'aw ghayrihima, mimaa yaqum ealaa alsawti, fyudrk eabr altamthil allughawii fi almijazaat alaidabiati: alnathriat 'aw alshieriati. walidhalik yakun alayaqae alsawtiu mzhraan aqnaeyaan yuazaf fi siaq alkalam bima fi dhalik altaathir fi almutalaqiy, bihayth yumkin 'an yataqabal alfikrat alati siq alkalam li'ajliha. yatimu hadha albahth taslit aldaw' ealaa baed mazahir alaiqnae almutajaliy eabr alayqae alsawtii fi alayqae alshierii lilfirqat alaindlasiati, bi'akhdh namadhij mukhtarat min shier hadhih alzaahirati, thuma bayan kayfiat tujli alaiqnae alsawtii alayqaei fiha

Keywords : aliaqnaei, alayqaea, dalalat aliandilasiati, alwazan, alqafiatu

Author: Alaa Hazem Mohmmed
Email: alaa.hazzim@gmail.com

المقدمة

في هذا البحث تتم دراسة الاقناع اللغوي عبر المستوى الصوتي الذي يتمثل في الايقاع الشعري في شعر العصبة الاندلسية، عبر ظاهرتي الوزن والقافية بوصفهما ظاهرتين صوتيتين ايقاعيتين يمكن بهما التأثير في المتلقي، ومحاولة جعله يقبل ما جاء في النص الخطابي من أفكار. ولذلك جاء عنوان البحث متسماً بـ((**الاقناع الصوتي الايقاعي في شعر العصبة الاندلسية نماذج مختارة**)). وقد قسم البحث على موضوعات مترابطة متسلسلة منطقياً. تم في سياقها دراسة الوزن الشعري بوصفه ظاهرة صوتية لغوية تمثل الاقناع الصوتي الايقاعي في شعر العصبة الاندلسية، الذي يمثل مظهر الايقاع الصوتي، وذلك بأخذ نماذج من الشعر الذي تبرز فيه هذه الظاهرة. ودراسة القافية بوصفها ظاهرة صوتية لغوية يتجلى بها الاقناع الصوتي الايقاعي، وذلك بأخذ نماذج شعرية من تلك العصبة للاستدلال على جريان تلك الظاهرة. ثم ختم البحث بخاتمة سُجلت فيها أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

.

العصبة الأندلسية:

ثمَّة ظروف حياتية وسياسية واجتماعية حتمت في أن يتجه بعض الشعراء العرب من بلاد الشام الى اعتناق فكرة الهجرة والاغتراب عن أوطانهم، فالحياة القاسية والاضطهاد السياسي وغياب العدالة، كانت عوامل دافعة نحو الغربة، ولأن الشعراء دائما تحت سطوة الانفعال، فتدفعهم نفوسهم الى المشاركة في ابداء ما يعتريهم من ألم الاضطهاد عبر شعرهم، وبذلك تولدت بذرة الأدب العربي في المهجر الجنوبي في رحلة كان حصادها تراث شعري عظيم، وأجيال من المثقفين، باتت تتذوق حتى استوى عوده وأينعت ثماره ولذّ شرابه[1]، فلهؤلاء الرواد من المهاجرين فضل في زرع نواة الادب والثقافة العربية في المهجر، فقد أسسوا الجمعيات الادبية والنوادي والمنتديات، وأقاموا الحفلات والمهرجانات المختلفة أدبية كانت أم اجتماعية أم قومية، بحيث عكست عن أدب عربي يقرع أسماع المتلقين ويُبرز ما تختلجه نفوسهم من فكر ومعاناة وثقافة، فهذه الأسباب والمعطيات ولدت تكوين عصبة أدبية تسمى (العصبة الأندلسية) تمثل محوراً أدبياً يضم في أجنحته مختلف التوجهات، تذوب فيه الخلافات والانتماءات.

ومن رواد هذا الاتجاه والمؤسسين الشاعر(شكر الله الجر)(*)، والشاعر(ميشال معلوف)(*) اللذين لهما قصب السبق في احقاق هذه الفكرة. واللذين أسهما في تأسيسها في الخامس من كانون الثاني عام1933م وذلك عند عقد الاجتماع التأسيسي الاول للعصبة، إذ اتُفق في ذلك الحين على أن يكون أسم المجموعة باسم (العصبة الأندلسية) احتفاءً بالدولة العربية في بلاد الأندلس ثم انتخبوا بالإجماع ميشال معلوف(رئيساً) و(داود شكور)(*)نائباً للرئيس، و(نظير زيتونة)(*) أمين السرّ، و(يوسف البعيني)(*)أمين

([1]) ينظر: الناطقون بالضاد في امريكا، معهد الشؤون العربية الامريكية في تيويورك، تر: البدوي الملثم، المطبعة التجارية الاهلية، بيروت، 1956م: 286.

(*) الشاعر شكر الله الجر: ((شاعر لبناني، هاجر الى البرازيل عام 1923م، وانقطع الى الصحافة عام 1930 فأصدر مجلة(الاندلس الجديدة) شهرية، وجريدة (الحرية) اسبوعية، الى عام 1942، وعمل في تأسيس(العصبة الاندلسية)، ومن مؤلفاته الشعرية(الروافد، وزنابق الفجر، وأغاني الليل، وقرطاجة، وبيروق ورعود، ومن خوابي الزمن)... وعاد الى لبنان عام 1964 وتوفي في جبيل)). الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، (د.ت): 7/3.

(*) الشاعر والاديب ميشال المعلوف(1889–1942م): ((أديب، ناظم، ثائر،، ولد في زحلة بلبنان في الاول من تشرين الثاني وهاجر الى امريكا الشمالية سنة 1910م، وبعد بضعة أشهر رحل الى البرازيل، وساهم في تأسيس العصبة الاندلسية، وتوفي ببيروت في صيف 1942م)). معجم المؤلفين، تراجم مصنّفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م: 64/13.

(*)داود نقولا شكور(1893– 1963م): ولد في حمص سنة 1893م، وقد تعلم في المدارس الارثوذكسية بحمص، هاجر الى البرازيل سنة 1908م ثم غادرها لمصر سنة 1909م وعاد اليها سنة 1912م، كان من المؤسسين الأوائل للعصبة الاندلسية،

الصندوق، و(جورج حسون معلوف)(*) وقد أثرت حماستهم والتعبير عمَّا في أنفسهم في إنتاج أدب له قيمة لا يمكن غض النظر عنا، أو إنكارها في الادب العربي، أدب له ميزاته الخاصة التي تميز بها خلال انطلاقته الابتدائية لهذه العصبة[2].

وقد حرصوا على تجديدهم في القصيدة العربية، وكذلك على الاكثار من الصحف والمجلات لتكون وسيلة للتعبير عن فكرهم، وللتواصل فيما بينهم وبين جمهورهم من المهاجرين الذين لا يستطيعون متابعة الفكر والتحصيل، وكذلك محاولة منهم لإدخال اللغة العربية في الجامعات الغربية[3]. ولعل أهم مجلة في هذا الاتجاه هي مجلة(العصبة الأندلسية) التي صدرت عام 1935م، التي حملت فكرهم وأهم منجزاتهم وأهدافهم[4]. فقد عمدت هذه المجموعة الى بث ما يعتقدون به، وما يمثل اتجاههم الفكري والعقدي والادبي والفني، وكذلك رؤيتهم لواقعهم عبر هذه المجلة وغيرها من المجلات الاخرى، وذلك بأسلوب أدبي وتعبير فني أخَّاذ بغية إيصال مرادهم.

الاقناع الصوتي الايقاعي:

تتميز النصوص الشعرية عادة بالخيال المستند الى الكلام الموزون، الذي يحاكي الانفعالات الصادرة منه لحظة الاستماع للمنجز الشعري، فتمنحه طاقة تأثيرية هي في قوامها علاقة تعاضد بين اللغة والشعور والانفعال عبر الايقاع الذي يتكون من نسيج تلك اللغة، ففي((الشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه))[5]، بحيث يأخذ النفوس نحو الاغراض، ولذلك فالايقاع ((من أهم خواص الشعر لأنه ينظم أصوات النص وألفاظه على نسق زمني او بنية زمنية مما ينشيء الاحساس بالوزن واللّذة والانفعال، كما ينظم أصوات الخطاب ويهندس التشكيلات الايقاعية))[6]، فهو في محصلته النهائية عبارة عن إحساسات سمعية متماثلة تكونها مختلف العناصر اللغوية والنغمية[7].

توفي في(سان باولو) سنة 1963م،، غزير الأدب والعلم، عميق التفكير، رقيق العبارة، طلق اللسان، خطيب مفوّه. للمزيد ينظر: www.wikipedia.com

(*)نظير بن عيسى زيتون الحمصي(1900–1967م): حمصي المولد والنشأة والوفاة، تعلم في المدرسة الروسية والكلية الأرثوذكسية، هاجر الى سان باولو في البرازيل قبيل الحرب العاملية الاولى للعمل في التجارة، وكان من مؤسسي العصبة الاندلسية، له مؤلفات وتراجم ومجموعة من الخطب، ينظر: الاعلام، الزركلي: 35/8.

(*) يوسف البعيني(1908–1949): ((يوسف بن نعمة عبد الله البعيني، أديب، ولد في مدينة بشمالي لبنان، واختير عضواً في العصبة الاندلسية بسان باولو في البرازيل وتوفي بها))، معجم المؤلفين: 339/13.

(*) جورج حسون المعلوف(1863–1965م): أديب وشاعر وخطيب، وناقد ادبي، وباحث لغوي، ومترجم لبناني مهاجر، أجاد لغات اجنبية عدّة، من مؤسسي العصبة الاندلسية، ينظر: موسوعة الفراشة:

www.onlinebeutterfly .com

(2) ينظر: الملامح الشرقية في شعر المهجر–العصبة الاندلسية أنموذجاً–، حكيم حسين سوادي آلبو نصّار: 7–8.

(3) ينظر: العصبة الاندلسية– هجرة الادب العربي الى البرازيل–، نعيمة مراد محمد، منشأة المعارف، مصر، (د.ت): 93–97.

(4) ينظر: شعراء العصبة الاندلسية في المهجر، عمر الدقاق، مكتبة دار الشروق، بيروت، ط1، 1973م: 139–141.

(5) أسس النقد الادبي في عيار الشعر، فخر الدين عامر بن طباطبة، عالم الكتب أكيرة للطباعة، ط1، القاهرة، 2000م: 51.

(6) بنية الايقاع في قصيدة مديح الظل العالي، محمود درويش أنموذجاً، اسماء بن ناجي وايمان رواغة، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2018–2019م: 7.

(7) ينظر: العروض وايقاع الشعر العربي، سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م: 109.

وهذا ما يمنح النص الشعري سمات اقناعية عبر جرسه الموسيقي المحاكي للانفعال الشعري المثير لعواطف المتلقي المختلفة، وهي بذلك ((تخاطب عواطف الجمهور لا عقولهم وأن عدداً كبيراً من الجمهور مستعد للتأثر والاقتناع بانفعاله وعاطفته أكثر من فكره وعقله))[8]. وهذا ما يتفق مع تعريف الاقناع عند الخوارزمي (ت387هـ) بقوله ((معنى الإقناع أن يعقل نفس السامع الشيء بقول يصدِّق به وإن لم يكن ببرهان))[9] أي أنَّ الاقناع يجري في القول والكلام ويتوقف على تعقل المتلقي لما في القول والكلام، بحيث يصل المتلقي الى التصديق، وإن لم يكن بدليل عقلي. فهو – الاقناع – يحاكي النفوس وبه يستميل الكلام المتلقي.

وهذا لا يعني أن الاقناع منحصر في الميل القائم على غير البرهان، فهذا الفهم غير صحيح فهو يجري في البرهان كما يجري في غيره. ولذلك ورد في تعريفه أنَّه: ((أ ـ استخدام المتحدث أو الكاتب للألفاظ والإشارات التي يمكن أن تؤثر في تغيير الاتجاهات والميول والسلوكيات.

ب ـ استعمال عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعه لفكرة أو رأي.

جـ ـ تأثير سليم ومقبول على القناعات لتغييرها كلياً ، أو جزئياً من خلال عرض الحقائق بأدلة مقبولة وواضحة)).[10] فالإقناع كما يجري بالرهان والاستدلال العقلي كذلك يجري بالوسائل الاخر، لغوية كانت أم منطقية، وفي النص الشعري يجري عبر وسائل ومنها اللغوية المتنوعة، والذي نخصه في البحث هو الايقاع الصوتي للوزن الشعري في نصوص العصبة الاندلسية.

الاقناع الصوتي الايقاعي للوزن:

تُعد الموسيقى الشعرية المتمثلة بالوزن مظهر إقناعي، خصوصاً عند قدرة الشاعر على التمكن من استعمالها في سياقاتها المعنية، فهي كالفرس الجموح لا يركب صهوته إلا شاعر مجيد، وهي احدى وسائل الإثارة والتأثير بين الشاعر والمتلقي، وبها يتمكن الشاعر من مسامع المتلقي، فيخاطبها قبل العينين بما تمتلك من سطوة توجيه للغة ولوحداتها اللغوية بطريقة فنية متميزة، جاعلة منها قوة اقناعية تشد المتلقي وتثيره لما في الصورة الصوتية من تردد في السمع وايقاع، إذ تتحول اللغة الشعرية الى خطاب يمكن تلحينه وإنشاده لما ينتجه من تموج اللسان وقرع لطبلة الأذن، فيحمل المتلقي على التخييل بسحر الايقاع[11].

فللوزن الشعري اقناع يتمثل بكونه وسيلة من وسائل التخييل أو المحاكاة، حاله في ذلك حال الوسائل التأثيرية الاخرى التي تقوم على اللغة، لما فيه من بنية رمزية متداخلة مع المعنى عبر خصائص صوتية مبنية على اللغة في قصدية النص الشعري، ولها انفعالاتها الخاصة لموقف شعري معين[12]، فاللحظة الشعرية وليدة موقف مؤثر قولي أو معنوي، أو كلاهما معاً، بحيث تنتج خطاباً شعرياً منسجماً لغة وتركيباً وايقاعاً ووزناً، عبر قصدية خطابية تتخذ من انسجام هذه العناصر كلها وسيلة اقناع ومحاججة، وللوزن فيها بتفعيلاته المحاكية للنفس الشاعرة الثائرة انفعالاً وشعوراً أسبقية التأثير في المتلقي، فهي المحفز الروحي الذي يولد الانتباه ويدعو الى الاذعان والتأمل ومن ثم التصديق بالحجة الشعرية المطروحة.

وجماعة شعراء العصبة الاندلسية، بنفوسهم الرقيقة ومشاعرهم الدفاقة الحانية وصدق صورتهم الفنية المتأتية من صدق التعبير ولوازمه الموسيقية المتنوعة، لاسيما الوزن منها، قد اتخذوا من تفعيلات الأوزان الشعرية وبحور العروض أداة اقناعية

([8]) بلاغة الاقناع، عبد القادر قادا: 106.

([9]) مفاتيح العلوم ، محمد أحمد بن يوسف الخوارزمي ، تحقيق : إبراهيم الايباري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1409هـ . 1989م : 77.

([10]) قوة الإقناع ، جون كونديرا ، مكتبة الهلال للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (لا.ط) ، (لا.ت) : 7 . 8.

([11]) ينظر: الاقناع والتخييل في شعر ابي العلاء المعري، بن ابراهيم ابراهيم، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015م: 110، 111، 171.

([12]) ينظر: فن الشعر من كتاب الشفاء، ابن سينا، تح: محمد سليم سالم، دار المعارف العمومية، القاهرة، (د.ت): 168.

ذات محفز ومثير خطابي، اذ بوساطتها استطاعوا التعبير عن أفكارهم ورؤاهم وفلسفتهم الشعرية الخاصة، ولعل هذا هو السبب الخفي لجعل أشعارهم تحفل بعمر أطول وحياة مؤثرة، اذ يعد وثيقة اقناعية قد حققت القبول ومن ثم الاذعان عند المتلقي العربي.

ومن تمثلات فاعلية الوزن الشعري في إحداث الاقناع عندهم كمحفز مثير للمتلقي، وعامل تنبيه وإثارة روحية، وأداة تخييل واستنباط ذهنية ما جاء في قصيدة الشاعر(شفيق المعلوف)(*) المعنونة بـ (الموت)، يقول[13]:

هو الموتُ يقتادنا في المهودِ

ليومِ اللّحودِ يداً بيـــــدَ

بسمنا لهُ ساعةَ الاحتضـــــارِ

بكينا لهُ ساعةَ المَوْلِدِ

أليس الشقاءُ للشيـــــــــــــخِ

ما لا يُحبَّبُ للأمْـــــــــرَدِ ؟

يؤكد الشاعر حتمية الموت عبر خبرية الجملة الاسمية، بفاعلية ضمير المخاطب الغائب الدال عليه (هو) متبوعاً بلفظة المعرّف بـ(أل) في دلالة الخصوصية القاهرة الحاضرة المؤكدة بوصفها فعلاً حكائياً خطابياً ترتكز بؤرة فاعليته المصاحبة الموصوفة بالديمومة والاستمرار في المسافة الزمنية المختزلة عند الشاعر بين لحظة الولادة وساعة الموت، فسيميائية المشهد الشعري تقوم على العلامة المرمز لها بالاختزال الزمني للخطاب الشعري في تصويره لفعل المصاحبة ما بين (في المهد، وساعة الاحتضار)، ولأجل إحداث هذه الدلالة الفعلية للموت وكيفية استمراره مع الانسان بين الولادة والموت، يتكيء الشاعر على فاعلية البحر المتقارب بتفعيلاته الصافية ذات الدوام والاستمرار والثبات(فعولن فعولن فعولن) الموسيقي الايقاعي، ومحاكاته لحركة الراحلة كطريقة سير، محاكية لمسير الجمل وتتابع مسير أرجله، وبهذا يحدث الوزن الموسيقي بايقاع تفعيلاته مشهدية متوائمة ومنسجمة مع محاكاة ما بين المسافة المختزلة لمسير الموت ومصاحبته للانسان، وبين مسير الجمل، اذ يحدث التناغم الصوتي للتفعيلات دوام الثبات والمصاحبة والمسير في فعل مشابه لفعل ديمومة الموت ومصاحبته للانسان، وعلى وفق هذا التسخير الحجاجي الاقناعي لقهرية الموت تبدو فاعلية الوزن مع ما فيها من تماهٍ ممتزج بالفعل الشعوري والانفعال القهري أداة خطاب شعرية حجاجية، تزخر بالجمال المتأتي من انسجام التركيب وموسيقاه، وهو ما يُحدث محفزاً ذهنياً حياتياً معيشاً لقبول الخطاب وأدلته الاقناعية، الذي بُني على التضافر بين الاثر الدلالي للإخبار بالجملة الاسمية، وتوظيف الضمير الغائب (هو)، والتعريف بالألف واللام، مع الاثر الصوتي للوزن الشعري(فعولن فعولن فعولن) الذي تحمل كل تفعيلة منه وقع سمعي ناتج من بنياتها اللفظية، وتأثير نفسي لمقطعها الصوتي بجزيه (فعو- لن) وتكرارها الثلاثي الذي يحمل مثير انفعالي مع حدث الموت الذي لابد منه، وحركتها المتوالية في سياق ترتيبي لغوي-لفظي- موحد(فعولن)، الذي يوحي بالثبات والدوام وبشكل هادئ متوافق مع حركة الحدث؛ ليُفرَضُ بذلك كله وعبر ما يوحي به الايقاع الصوتي للوزن بشكل عام واقعية الموت حتمية

(*) الشاعر شفيق المعلوف(1905–1976م) ولد سنة 1905م في مدينة زحلة بلبنان لأسرة أدبية معروفة، درس في المرحلة الدراسية الاولى في مدينته بالمدرسة الشرقية، ثم انتقل سنة 1922م الى دمشق وعمل في تحرير جريدة ألف باء، وفي سنة 1923م نظّم ديوانه الأول في الشام وعرف بديوان(الأحلام)، وفي سنة 1926م انتقل الى البرازيل بالهجرة في مدينة سان باولو، وتوفي الشاعر في البرلزيل سنة 1976م إبّان الأحداث الدامية التي كانت تجري في وطنه الأم. ينظر: شفيق المعلوف شاعر عبقر، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م: 5–6.

(13) شفيق المعلوف شاعر عبقر: 123.

وقوعه، وضرورة الاعتبار به والوثوق بقاهريته، وملازمته للبشر بشكل دائم لايمكن الخلاص منه، ليعطي بذلك درساً تربوياً على المتلقي الافادة منه وأخذه على محامل الجد والصدق.

ومن تمثلات الوزن بوصفه أداة حجاجية اقناعية تعتمد الايقاع الصوتي ما جاء به الشاعر(القروي)[14] في قصيدته الموسومة بـ (هَمَسَتْ)، اذ قال فيها[15]:

هَمَسَتْ في أُذني عصفورةٌ خبراً أرقصَ قلبي طَرَبـــــــــا

أنّ توفيقاً وليلى التقيـــــــا صدفةً في مجلسٍ فاضْطَرَبـــا

مجلسٍ أحظى بِحُرٍّ حُـــرَّةً واصطفى فيهِ العفافُ الأدَبـــا

قُلْتُ فَلْنَشْدْ فقالتْ ريثمـــا يعلنُ المذياعُ أنْ قدْ خَطَبـــــا

قُلْتُ إنّي راحلٌ بَعْدَ غَـــــدٍ فاصدحي عنّي صُداحاً مُطْرِبا

وأشِدي بكريمي حَسَـــــبٍ طيّبِ العرقينِ أمّاً وأبـــــــــــا

هَوَيا العُرْبَ ولا بورِكَ في عربيّ لا يحبُّ العَرَبـــــــــــــا

نظم الشاعر قصيدته حين بلغه وهو على وشك السفر الى الارجنتين سنة 1941 أن صديقه توفيق الريس يهم بالخطبة فبعث إليه ببطاقة عليها هذه الأبيات[16]، فطبيعة الخبر المفرح دفع الشاعر الى الرقص والطرب وهذا ما استدعاه الى استعمال بحر الرمل وتفعيلاته الصافية الراقصة(فاعلاتن فاعلاتن فاعلن)، في فعل محاكاة لغوي نفسي شعوري، فالشاعر يفكر في مستويات التجربة وأبعادها تفكيراً آنياً، لا انفصام بين عناصره وحركة خياله داخل التجربة. فالوزن في ذاته صور مجردة لا قيمة لها منفصلة عن المعنى والتناسب الذي يمكن أن يتميز به الوزن، فلا يمكن أن يفهم بعيداً عن التجربة، ذلك لأن لغة الشعر ليست كأنغام الموسيقى مجرد عناصر صوتية مجردة، بل هي عناصر لغوية لا يفارق فيها الصوت المعنى بأي حال[17]، ووفقاً لهذا التناغم والانسجام اللغوي والوزني الموسيقي يقدم الشاعر حجاجه الاقناعي بتلك الفرحة التي احتلت قلبه وشعوره بفعل خطبة صديقه وما أثارت فيه من الارتياح النفسي الراقص الذي دعاه الى نظم القصيدة التي جاءت بخطاب شعري مسبوك ذاتياً ولغة وشعوراً، انعكس كلّه على المتلقي أو المخاطب تصديقاً للانفعال وإقناعاً بمصداقية الخطاب الشعري. فالوزن(فاعلاتن فاعلاتن

---

[14]() ولد الشاعر رشيد سليم الخوري (القروي) في قرية (البربارة) في لبنان عام 1887م، وتعلّم في مدارس القرية أولاً، ثم في مدرسة الفنون في صيدا، بعدها في سوق الغرب، ثم أنهى دروسه الاعدادية في جامعة بيروت الامريكية، غادر القروي لبنان الى البرازيل، وهناك شرع بالعمل متنقلاً بين المدن، وفي سنة 1915م انتقل الى(سان باولو) عاملاً في التدريس، ولقّب بالشاعر القروي سنة 1916م، وتوفي الشاعر الخوري سنة 1984م. ينظر: شعراء المهجر الجنوبي: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2009م: 15-40

[15]() ديوان القروي: 646.

[16]() المصدر السابق نفسه.

[17]() ينظر: مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1987م: 401-411.

فاعلن) فيه قوة صوتية عالية عند الاداء، فالصوت فيه يشتد ويقوى في التفعيلتين الاولى والثانية (فاعلاتن فاعلاتن) فيرتفع في جزء أو مقطع كل منهما، وذلك في (فاعلا) ثم يشتد ويقوى في المقطع(تن) وتزداد القوة وترتفع أكثر بتكرار التفعيلة مرتين، مع ما لمقطعي كل منها من ارتفاع صوتي وشدة صوتية؛ لتشكل في النهاية اثراً صوتياً عالياً. ثم يبدأ ينخفض قليلاً في التفعيلة(فاعلن) فالصوت في تفعيلات الوزن الشعري في هذه القصيدة يبدأ بالشدة والعلو الملفتين في التفعيلتين الاولى والثانية، ثم ينخفض بأقل من ذلك في التفعيلة الثالثة، وهذ ما يتناسب مع الفرح العالي المتمثل بخطوبة الصديق العزيز المحبوب لدى الشاعر، إذ يكشف اختيار الوزن والمستوى الصوتي لتفعيلاته عن أهمية التكاتف والمحبة بين الانسان وأخيه الانسان الموافق له في الفكر أو الخلق، وضرورة تقوية الاواصر بينهما. وبذلك يُحمل المتلقي وعبر الاثر الصوتي الذي يحدثه الوزن الشعري بتنوع تفعيلاته على إدراك هذه الحقيقة التي لا مناص منها، وأهميتها في حياة الانسان، ويكون في هذا المقام الصوتي في سياق حملي بعيد عن الرفض والانكار.

وفي نصه الشعري الموسوم بـ (غريب مرتين) يشكو الشاعر (نبيه سلامة)(*) غربته، اذ قال فيها[18]:

إذا جَنَّ الظلامُ وحانَ ليلـــــــي

أخذتُ دَخِنَّتي وملأتُ كأســـي

أعافُ الناسَ لا أبغي سميراً

سوى هاتينِ من جنَّ وأنـــــسِ

فأنشُقُها مشعشةً بنـــــــــــــارٍ

وأبعثُها مضرجةً ببؤســـــــــــي

نفرتُ من النهارِ الى الدَّياجي

فأُصبحُ عندما الأحياءُ تُمسي

أُغالبُ ثورةَ الأنواءِ وحـــــــدي

كأنَّ سنينيَ تجري لتعســـــــــي

تستلزم الشكوى بطبيعتها المتصلة بالنفس المتألمة امتداداً صوتياً موائماً لفعل البوح والاعتراف في فاعليته عند اظهار الأسباب او حصول الراحة النفسية بعده، ولأجل هذا يرتكز الخطاب الشعري في الأبيات أعلاه على الأداء الصوتي المميز للبحر الوافر المعصوب التفعيلات (مفاعيلن مفاعيلن فعولن) وما فيه من امتداد نغمي موازٍ لفعل إباحة الشكوى وما يتطلبه من امتداد صوتي دونما انقطاع، وفي انسيابية عالية سلسة سهلة، إذ منح البحر الوافر وتفعيلاته الممتدة الايقاع الصوتي انسجاماً خالصاً مع فعل الشكوى وتبرير نفور الشاعر مما حوله في غربته، حتى غدت حياته سجناً ليس فيه من نديم سوى الخمر والتبغ، وعبر توليف اللغة الشعرية الحزينة الهادئة بتركيبها الانتقالي ما بين الخبرية والفعلية مع الأداء الصوتي المحاكي لفعل الشكوى تظهر القصيدة فاعلية الأداة الصوتي الوزني بوصفها أداة اقناع وحجاج تستفز إثارة المتلقي وتقنعه بالموافقة على حجة الخطاب.

(*)شاعر سوري ولد بحمص سنة 1908م، عاش حياة الفقر والجوع بسبب ظروف الحرب العالمية الاولى، هاجر في عام 1935 الى البرازيل ملتحقاً بأهله هناك وعمل في الصحافة ثم تحول الى التجارة وفشل فيها ثم عاد للصحافة مجدداً، له ديوان شعري وحيد بعنوان(أوتار القلوب)، ينظر: شعراء المهجر الجنوبي:223-224.

([18]) شعراء المهجر الجنوبي: 225-226.

فالوزن(مفاعيلن مفاعيلن فعولن) بتقطيع تفعيلتيه الاولى والثانية الى مقطعين صوتيين(مفا- عيلن) يعطي المقطع الصوتي الاول منه (مفا) سعة وفسحة للتعبير عما يختلج في النفس من أسى ومعاناة وتحسر، ويتيح كثرة ابداء تلك المشاعر واخراجها الى مسامع الاخرين، وذلك لتناغم الحروف(م، ف، ا) وكيفيتها الترتيبية في المقطع الذي ينتهي بالالف المتصفة بدلالة الطول والسعة، ويعطي المقطع الصوتي الثاني منه (عيلن) بسبب توسط الياء سعة وطول أكثر في اتاحة التعبير.

وأما التفعيلة(فعولن) فكما ذكرنا مسبقا توحي بالاستمرارية والحركة الدائمة. ومن مجموع تفعيلات الوزن الشعري ومن تعاضدها يتولد زخم صوتي يفيد اتاحة مساحة واسعة للتعبير عن خلجات الغربة المكنونة في النفس وبشكل مستمر ودائم. وهذا ما جعل الشاعر يبث شكواه الاغترابية في سياق هذا الوزن، ولما له من ايقاع صوتي مناسب، ليخلق انطباعاً عند المتلقي يقضي بضرورة افشاء المعاناة وعدم كتمانها، لما لها من وقع في تغيير الواقع المرير، وتحريك النفوس لرفعه وغلق مجالات حصوله، وهذه الفكرة تكون أكثر قبولا عند المتلقي وهي متضمنة في كهذا اجواء الصوتية المؤثرة، وبذلك يتحقق الاقناع المتولد من الايقاع الصوتي للوزن الشعري.

ومما سبق من نصوص شعرية لجماعة العصبة الاندلسية يبرز لنا الاقناع القائم على الأداء الصوتي للوزن الشعري المرتبط بإيقاع البحور الشعرية المختلفة، كأداة فاعلة في دعم المعنى والدلالة وبناء الصورة الشعرية، كونه فعلاً محاكياً للحظة الانفعال والقول الشعري؛ مما يمنح النصوص نجاعة الوسائل الاقناعية الصوتية، وما يرتبط بها من مستويات نغمية في تحقيق التواصل الخطابي مع المتلقي أو المخاطب، وبما يحقق إثارته وتأثره وقبوله بدلالة وحجة النص الشعري المبتغاة.

الاقناع الصوتي الايقاعي للقافية:

القافية في الشعر واحدة من اللوازم الاقناعية المهمة؛ بما تزيد الخطاب الشعري بالجمال والحيوية في المشاعر والعواطف، وبما تبعثه من شد الانفعال وحمل المخيلة على التخييل، فالشاعر بها يتملك مشاعر المستمع بفضل الاهتزازات الصوتية وتقطيع الكلمات تبعاً للتفعيلات الحاصلة بها مع توالي أنغامها وضربتها الموسيقية الاقاعية بوصفها وحدة مستقلة توجب المخاطب أن يعي ماهيتها ويستوعبها فيرغمه هذا الى الاستماع الى وزنها الخاص، فيشكل في الحس نشاطاً وفي الفطرة صفاء وفي الأوزان اصداء، فتتولد الاثارة والتخييل[19].

والدور الاقناعي للقافية يتمثل في قدرتها الصوتية المنسجمة مع الحالة الشعورية للشاعر لحظة القول الشعري، وبما يقع من انفعالات ذاتية تؤسس له، فتبني كيانه اللغوي الصوتي، فكل ذاتية خطابية عالية مقترنة بقول شعري موصوف بالصدق سيدفع المتلقي والمخاطب حتماً الى التأثر ومن ثم التصديق، لاسيما مع وجود القدرات الصوتية التي يستلذ لها القلب والذهن الواقعة ما بين الوزن بوصفه ايقاعً عاماً والقافية بوصفها نظاماً صوتياً خاصاً جاذب ومهيمن ومثير، مقترن بالدلالة العاطفية الخاصة بالقول الشعري في لحظة معينة وغرض معين، وبهذا يكون النظام الصوتي للقافية جزءاً متمماً للبنية الايقاعية للوزن وبدلالات شعورية خاصة يحددها الخطاب ومثيراته[20]، مما يجعلها وسيلة حجاجية جمالية تطلب حصول الاقناع عند المتلقي أو المخاطب.

ومن تمثلات المثير الصوتي للقافية في شعر جماعة العصبة الاندلسية ما جاء به الشاعر(فوزي المعلوف)[*] في قصيدته المعنون بـ (فتون الطبيعة)، قال فيها[21]:

([19]) الاقناع والتخييل في شعر ابي العلاء المعري، بن ابراهيم: 172–173.

([20]) شعراء المهجر الجنوبي: 225–226.

([*])فوزي بن عيسى اسكندر المعلوف(1899–1930م) شاعر لبناني رقيق، ولد في زحلة، واتقن الفرنسية والعربية، وعيّن مديراً لمدرسة المعلمين بدمشق، سافر الى البرازيل سنة 1921م، فنشر فيها قصائده(سقوط غرناطة)، و(تأوهات الحب)، و(شعلة

طبيعةٌ كأنّها دميةٌ

صنعُ يدَيْ مُصّورٍ ماهرِ

لولا هواها ما عرفنا الهوى

ولا ابتسمنا للغدِ الحائـــــــرِ

ولا نظمنا الشعرَ لولا نـدىً

منتظمٌ في سلكها الناضـــرِ

ولا أجَدْنا النثرَ لولا هـــــــواً

تنشرُهُ بحكمةِ النَّثـــــــــــــرِ

ولا عرفنا الحُبَّ يجري دمــاً

في جسمنا بالجوهرِ الطَّاهرِ

لولا اعتناقُ البانِ في أيكها

وقُبْلَةُ الطائرِ للطائـــــــــــرِ

يقرن الشاعر سعادة الانسان بالطبيعة وفنونها المتنوعة من جمال صنعها وندائها وأنواع الحيوات فيها، لاسيما الطيور التي تبعث الفرح بأصواتها، وهذا ما استدعاه الامالة نحو الطبيعة الراقصة الواسعة الممتدة للبحر السريع، عبر تفعيلات(مستفعلن مستفعلن فاعلن) وما فيها من زحافات وعلل تعضيداً للميزة الصوتية للتفعيلات بتقفية هذه الميزة الصوتية للتفعيلات بقافية حرف(الراء) ذي الروي المكسور، ونبره القوي وما فيه من امتداد صوتي، إذ إن امتداد حركة الروي المنتجة وفق متطلبات البحر الشعري المحاكية لروح الشاعر في محاولتها للتنبيه عن جمال الطبيعة وموجوداتها التي صنعها مبدع ماهر استدعت حصول التوافق الايقاعي المؤثر في نفس السامع، وهذا ما يحفز فيه الاثارة الجمالية عبر نغمية صوتية لعب فيها حرف الروي دوراً فاعلاً اقناعياً عبر تكرار النبر والتنغيم، ومن ثم حدوث الراحة النفسية والذهنية لحصول القبول والاقناع، فللقافية وحرف رويها ضرورة ذات علاقة دلالية بين الوحدات التي تربط بينها وإن طبيعة هذه العلاقة هي التي ينبغي توضيحها، فهي في النهاية وظيفة اعلامية بنهاية البيت الشعري[22]. فقافية حرف(الراء) ذي الروي المكسور ترتبط بالجرس الموسيقي الذي يحدثه صوت هذا الحرف ورويه، إذ ((اصوات الحروف... تأتي على سمت الاحداث المعبر به عنها))[23] وعليه فالحروف يقع عليها الاختيار حذواً لمسموع الاصوات على محسوس الاحداث[24] حين يكون المتكلم واعياً بذلك في العادة، وهذا ما يتصف به

العذاب)، و(أغاني الأندلس)، وأخيراً(بســـاط الريح)، وأدركه الأجل في مدينة الريو دي جانير عاصمة البرازيل)) الأعلام، الزركلي: 163/5.

([21]) فوزي المعلوف، الاعمال الشعرية: 134.

([22]) ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1996م: 83، 209.

([23]) الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، 157/2

([24]) المصدر السابق: 160/2

الشعراء غالباً، ولعل العبرة هي ليست بخصوص الجرس الموسيقى الذي تحدثه القافية عبر حرفها وصوت رويها، وإنما العبرة بالإيحاء المتولد منها، وما يفيد من دلالة ومعنى يُضفى على النص الشعري بحيث يزداد قوتاً دلالية ومعنى مؤثر.

ومن المعلوم أنَّ حرف الراء من الحروف الجهرية التكرارية الترددية[25]، وهو يوحي بصوته الجهوري المنعكس على مضمون القصيدة وموضوعها في المقام، الى تحفيز المتلقي أو المخاطب وتنبيهه وضرورة تنبُّهه الى جمال هذه الطبيعة، والانتقال به الى موارد ذلك الجمال بعد مرحلة التنبيه. ثم يأتي دور التكرار المنبعث من صوت حرف الراء ورويه ليوحي بتتابع تفاصيل هذه الطبيعة وتتبع مجالات جمالها بشكل متكثر، مما يولد زخما دلاليا ضاغطاً يتردد على مسامع المتلقي أو المخاطب ليأخذ به الى النظر في تفاصيل هذه الطبيعة وميادينها المثيرة، هذا فضلا عن الاثر الذي يحدثه النبر والتنغيم للقافية نفسها، الذي يُلقي في ظلاله على القصيدة وموضوعها المعني.

وبعد أن أُقحم المتلقي في ميادين الطبيعة بالإيحاء المتولد من القافية بحرفها وصوت رويها ونبرها وتنغيمها،- وكأنه يترحل فيما بينها وهو مدرك لسحرها وأناقتها -ينتقل الى ربطها بمبدعها وصانعها، فهي تتطلب مبدعاً وصانعاً أعظم منها على عظمتها، بضرورة الفطرة المكنونة في النفوس، ومن هنا تتصف القافية بالاقناع.

ومن تمثلات النمط ذاته ما طالعنا به الشاعر(شفيق المعلوف)(*) في قصيدته الموسومة بـ (يقظة الضواري)، يقول[26]:

لقد صاحَ ديكُ الصباحِ فأيقـظَ

نَهْمَ الثعالبِ في غابِهـــــا

وأنشدت الطيرُ إنشادَهـــــــــــا

فأقبلَ صيدُ أسارِبِهـــــــــــا

ونبَّهَ صكُّ المناجلِ بيـــــــــــنَ

الحقولَ مطامعَ أربابِهـــا

تعالى حفيفُ الغصونِ فحَـــــرَّكَ

في الكوخِ أفأسَ حطابِها

وراعي النعاجِ استعدَّ وما خلْتُ

راعيها غيرَ قصابِهـــــــــا

لقد خَفَّ كلّ ضواري الحيـــــــاةِ

يفوزون منها بأسلابِهـــا

وما إنْ يفوزُ ســـــوى كلِّ نفسٍ

تُباهي بقوّةِ أنيابِهـــــــــــا

---

[25]() ينظر: المدخل الى علم أصوات العربية: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط1، ص136

(*) ترجم له مسبقاً.

[26]() شفيق المعلوف شاعر عبقر: 125-126.

يستثمر الشاعر الطاقة الصوتية التنبيهية لحرف القافية(الهاء) وما فيه من امتداد واطلاق ليحاكي بها محاولته إثارة انتباه المجتمع لفعل السياسيين في البلد، وقد اثخنوه تدميراً وتحطيماً، وتذبذبوا وتلونوا في مواقفهم. فعبر دلالة لفظة(الضواري) و (الثعالب) يرسم الشاعر خطاً حكائياً مهمته الدلالية تقع في الافتراس، ليقابل ذلك بألفاظ دالة على التنبيه من مثل (ديك الصباح) و(نبَّهَ) ومافيها من إشارة واضحة المعنى الخطابي الشعري لإحداث الفعل الضدي بين الثيمتين، وعلى وفق هذا وفي ضوء الانفعال الذاتي المتسبب للقول الشعري في التنبيه ولأجل إثارة الأسلوب الاقناعي الحجاجي عليه يتكيء الشاعر على فاعلية حرف القافية (الهاء) في التنبيه عبر مافيه من اهتزاز نفسي وامتداد صوتي مثير ومحفز للمتلقي او المخاطب، كي يأخذ حذره قبولاً بالوسيلة الاقناعية الصوتية المنسجمة مع دلالة النص، وفيها يحدث التناغم التركيبي واللفظي والصوتي بوصفه وسيلة حجاجية، ولا يخفى هنا دور البعد السمعي مع الدور البصري للحجاج المتأول من الأبيات أعلاه في تكوين صورة متماسكة ومسبوكة الأطراف لتنتج تخيلاً سمعياً بصرياً لعبت القافية فيه دوراً اقناعياً مؤثراً، حيث((تعد القافية أول عنصر تشكيلي في الشعرية العربية))[27]. وحرف القافية (الهاء) صوت من خصائصه الصوتية الاستعمالية الذبذبة، فعند ((النطق بالهاء المجهورة يندفع من الرئتين كمية كبيرة من الهواء أكبر مما يندفع من الأصوات الأخرى، فيترتب عليه سماع صوت الحفيف مختلطاً بذبذبة الوترين الصوتيين))[28] ومن خصائصه أنَّه صوت أساس من ضمن الأصوات التي تعرف بالأصوات الانفعالية، التي هي عبارة عن أصوات قصيرة تعبّر عن التوجع والدهشة أو الألم أو ما إليها من الوجدانيات العابرة، وهي شائعة في جميع اللغات قيل: آه، وي، أواه، ها، هيا، واه[29] وكذلك من خصائصه التنبيه[30] فالمجهورية والذبذبة والانفعال والتنبية عناصر لصوت الهاء، تتحد فيما بينها لتشكل قوة اقناع، تأخذ المتلقي نحو رفض العمل السياسي المنحرف ولزوم الوقوف ضده. فالتنبيه المنبعث من صوت الهاء الموحي للفت المخاطبين بضرورة كشف ثعالب السياسيين وظلمهم. والانفعال الذي يضفيه صوت الهاء على النص الشعري، والذي يقضي بحتمية الاندماج مع الواقع السياسي وكشف رجاله المزيفين. وذبذبة القائمين في المشهد السياسي وخداعهم البارز، وتلونهم في الاقوال والافعال والاحوال. والمجهورية التي يتصف بها صوت الهاء، الذي يقضي بلزوم فضح اعمال السياسيين المدمرة، ولا بدية رفع راية الرفض لهم بصوت عال، في قبال ما يجهرون به من خداع. فهذه العناصر المترشحة من صوت الهاء المتمثل بقافية القصيدة لها يد القدرة في توجيه المخاطب نحو غرض القصيدة وقصديتها بشكل مقنع، وبتعددها وتكثرها وتراكمها الايحائي، وتمحورها حول موضوع القصيدة وأغراضها يُتيح ضمان قبول الافكار المعنية.

ومن تمثلات هذا النمط ايضاً ما جاء به الشاعر(القروي)[*] في قصيدته المعنونة بـ (الدمعات العشر)، جاء فيها[31]:

تضيقُ بيَ الدنيا إذا ذُكرَ الحمى

كأنيَ من عرضِ البرازيلِ في حَبْـــسِ

ولي كلَّ يومٍ للحمى ألفُ رجعـــةٍ

على ألفِ فُلْكٍ في مرافئِهِ تُرســـــــــــي

([27]) الشعر بين الرؤية والتشكيل، عبد العزيز المقالح، دار العودة، ط1، بيروت، 2000م: ص115.

([28]) الأصوات اللغوية: د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة 1984م ص89

([29]) اللسان والإنسان: د.حسن ظاظا، دمشق – دار القلم . بيروت – الدار الشامية، ط2، 1990م ص33

([30]) ينظر:اعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار الارشاد للشؤون الجامعية، ط4، سوريا،1415هـ، ج294/1

([*]) ترجم له مسبقا.

([31]) ديوان القروي: 859.

يسيرُ معي لبنانُ أنَّى توجَّهَـــــتْ

ركابيَ لو يغني الخيالُ عن الحـــــــسِّ

وقالوا هنا بحرٌ وشمسٌ ورملـــــةٌ

أباللفظِ يغنونَ الجمالَ أمْ الجنـــــــسِ

فما أبعدَ الاسماءَ عن مُسمياتها

وأغربَ شمسَ الأرْزِ عن هذهِ الشّمسِ

يشكو الشاعر غربته التي تحولت الى سجن كبير، ويشتاق لبلده، فلم تغنه أجواء البرازيل طبيعة وأناساً عن بلده لبنان، ولأجل إظهار أكبر قدر من الحزن اقناعاً وحجاجاً يلجأ الشاعر الى الامتداد الصوتي للبحر الطويل وتفعيلاته(فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، إذ يتصف هذا البحر بطول النفس الشعري والامتداد الصوتي الذي يبيح للشاعر طرح اكبر قدر من الألفاظ ودلالاتها، ولم يفتْ الشاعر لإحداث هذه الدلالة في الحزن والشوق والبوح من استغلال الطاقة الصوتية النغمية الممتدة لحرف القافية(السين) ومافيه من همس دافق وانكسار بيّن يدركه المتلقي او المخاطب بسهولة ويسر لتتحد الدلالة التركيبية من ألفاظ الاشتياق والغربة مع الدلالة الصوتية المكتنزة في حرف القافية في كتلة صورية شعرية معبرة محاكية لانفعال الشاعر لحظة نظم قصيدته ومحاولته اقناع المتلقي بفكرته ورؤيته.

فصوت السين القافية كما هو معلوم من المهموسات، واختيار الشاعر له بوصفه وحدة لغوية يكشف عن التوافق بين بث الشكوى ومعاناة الاغتراب وبين دلالة الهمس، ومن ثمَّ وضع المخاطب في أجواء هادئة انسيابية غير متسارعة، طويلة النَفَس، تتسرب الى النفوس والعقول بشكل شبه خفي، حتى يجد المخاطب أنَّه منفعل مع الافكار والرؤى دون اعتراض، وعندئذ يكون الايقاع الصوتي لقافية السين قد أدى دوراً اقناعياً، فهو ايقاع بطيء متنامي متعالي متناغم مع كلمات الشكوى والاغتراب، التي أدرجها الشاعر في سياق نصه الشعري(**تضيق بي الدنيا، حبس، معي لبنان**) ليُلفت الى أهمية الوطن، ودوام التمسك به، ومداومة الحنين اليه.

ويأخذنا الشاعر(عقل الجر)(*) في قصيدته المعنونة بـ (ولدي) بلغة حانية رقيقة الألفاظ والمعاني والقافية تأتلف وتتسق جمالاً، يقول[32]:

أشتمُ وجنتَهُ وأرشفُـــــــــهُ

كالشمي دمع الزهرِ في الرأَدِ

يحتلُ عرشاً من دعائمـــهِ

روحي وبسطةُ ملكهِ جسدي

(*) الشاعر عقل الجر ولد سنة 1885م في لبنان من مدينة(بيبلوس)، وفي سنة 1945م كانت وفاته في مدينة سان باولو البرازيلية، كان شاعراً كثير الحنين لوطنه، ووطنياً صرفاً بدون منازع فضلاً عن ميوله القومية العروبية، تنقل بين بعض الدول العربية حتى استقر في مهجره وكان من أهم مؤسسين العصبة الاندلسية، ينظر: ديوان عقل الجر، دار الثقافة، بيروت، (د.ت): 7-18.

([32]) ديوان عقل الجر: 43.

تغفو عيونُ الناسِ هانئةً

وهناءُ عيني فيهِ بالسُّهْـــــــدِ

تهتاجني من فيهِ زقزقـــــةٌ

تزري بصوتِ البلبلِ الغَـــــرِدِ

ويشوقني من رأسهِ شقـرٌ

كالتِّبرِ مذروراً على بـــــــــرَدِ

يرنو إليَّ ويا لمقلتـــــــــــهِ

بصّاصةً كالنجمِ في الجلـــــدِ

فكأنني وأنا أدغدغـــــــــهُ

طفلٌ وطفلي دميةٌ بيـــــــــدي

ذهب علماء اللغة مذهباً تعالقياً بربط بين الصوت والحالات النفسية، فرأوا أن حالات الوقار والعظمة والخوف والرعب والوحشة تناسبها الأصوات المرتفعة، أما العواطف السريعة والشديدة والشكوى والأنين والحزن والبشاشة والنشوى والسرور فتناسب الأصوات المنخفضة[33]، وعلى وفق هذا نلحظ الانخفاض السريع لصوت القافية لدى الشاعر في أبياته، اذ إنَّ حرف القافية(الدال) مع حرف رويه(الياء) الناجم من امتداد التدفق الصوتي لحركة الكسر فيه يعكس تلك المشاعر الأبوية الحانية الرقيقة المكسورة تجاه ولده، فضلاً عن معاني الحنان والرأفة والحب والعطف، وفي هذا كله حجج اقناعية، اذ تتسق فكرة القصيدة وألفاظها مع صوت القافية في تشكيل صورة متمثلة عن قوة عاطفة الأبوة عند الشاعر بما يمنح التفاعل الروحي والذهني للمخاطب، فيحدث عنه الاقناع بالخطاب وفكرته ورؤاه عبر استراتيجية خطابية نصية متعاضدة لغة وجرساً موسيقة، ولفظاً عذباً وأداءً صوتياً، كان موضع تأثيره العاطفي المهم عند صوت القافية،

فالدال من الاصوات المجهورة وحرفه الروي الياء من حروف المد[34] والجهر والمد يمكنان من الافصاح بوضوح عما في داخل النفس من مشاعر، وبفسحة واسعة ومجال تعبيري طويل الامتداد، فيسهمان في رفد الايقاع الصوتي للقافية بدلالة ممتزجة من معاني الجهر والافصاح بأسلوب ممتد فسح المجال، وبذلك يأخذ الايقاعُ مسامع المتلقي نحو غرض النص الشعري، فيُحدِث فيه تجاوباً نفسياً مع المقصد المعني في القصيدة، والذي تمثل بعاطفة الابوة التي ترمز الى حب الاخرين وأهمية انزالهم منزلة الولد في سبيل تربيتهم ورعايتهم.

مما تقدم من النصوص الشعرية نلحظ ظهور القافية بوصفها فاعلاً دلالياً اقناعياً عبر ارتباطها الوثيق مع البنية التركيبية للخطاب الشعري ووحداته اللغوية، وبوصفها إيقاعا صوتياً يستمد دلالته من دلالة صفات الاصوات المحدثة له، إذ تبدو- القافية- وهي تتذيل البيت الشعري وحدة دلالة مكتنزة المعنى عبر دلالة اصواتها المعبرة عن حالة الشاعر عند القول الشعري، وكيفية محاولته اقناع المتلقي بأفكاره ورؤاه بحجج معبرة عن ذاته وشعوره وانفعاله.

الخاتمة:

(33) ينظر: قراءة براغماتية مقامية لموسيقى القافية ورسمها ديوان الاعشى انموذجاً، منال نجار، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الانسانية)، المجلد 31، 2017م: 1588.

(34) ينظر: كتاب العين: الفراهيدي، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1988م . 348/3

في نهاية البحث لابد من التعرض بالذكر لأهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1- إن التراث الشعري الذي خلفته مجموعة الشعراء الذين يجمعهم مصطلح العصبة الاندلسية لهو تراث أدبي جدير بالدراسة والبحث، ومن زوايا متعددة، إذ لازال فتياً ولم تسبر أغواره حتى الان بحسب ما تم الكشف عنه في هذه الدراسة، التي أخذت منه نماذج قليلة وتبين أنها غنية بالمعارف الادبية التي تستدعي البحث.
2- الاقناع الصوتي الايقاعي قد تمثل بشكل واضح في هذا التراث الشعري، وكان غنياً في ظهوره فيه، سواء في الوزن الشعري، أو القافية.
3- الوزن الذي مثل الايقاع الصوتي عبر تفعلاته ودلالاتها ودلالات أجزائها ومقاطعها في هذه الدراسة قد ثبتت أدواره الإقناعية، وكيفياته التأثيرية في حمل المتلقي على قبول أفكار الشعراء ورؤاهم، وكما هو مسجل في طيات هذا البحث
4- القافية التي مثلت الايقاع الصوتي المنبعث من الاصوات اللغوية ودلالاتها قد أدت دوراً اقناعياً بارزاً، بحيث كانت الاداة الفعالة التي يتمسك بها الشعراء في لفت المتلقي نحو مرادهم، وكما هو مثبت في التحليل في البحث.
5- دلالة الاصوات تسهم الى حد كبير في توجيه المعنى المقصود، وبيان الاغراض، وكذلك صرف المتلقي نحوها، إذ ثبت أنَّ الاصوات اللغوية في شعر هذه العصبة قد أغنت دلالاتها النص الشعري وانتشرت في تركيبه، وألقت في ظلالها على دلالاته العامة والخاصة.

قائمة المصادر:

-أسس النقد الادبي في عيار الشعر، فخر الدين عامر بن طباطبة، عالم الكتب أكيرة للطباعة، ط1، القاهرة، 2000م
-الأصوات اللغوية: د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة 1984م.

-اعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار الارشاد للشؤون الجامعية، ط4، سوريا،1415ه.

-الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، (د.ت).
- بلاغة الاقناع، عبد القادر قادا- دراسة نظرية تطبيقية-، عبد العالي قادا، دار كنوز المعرفة، ط1، عمّان، 2016م.
-بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1996م.

-ديوان عقل الجر، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

-ديوان القروي رشيد سليم الخوري، وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث 27، سوريا، 2007م.

-الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

-الشعر بين الرؤية والتشكيل، عبد العزيز المقالح، دار العودة، ط1، بيروت، 2000م.

-العروض وايقاع الشعر العربي، سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م
-العصبة الاندلسية- هجرة الادب العربي الى البرازيل-، نعيمة مراد محمد، منشأة المعارف، مصر، (د.ت)
-اللسان والإنسان: د.حسن ظاظا، دمشق – دار القلم . بيروت – الدار الشامية، ط2، 1990م.
- المدخل الى علم أصوات العربية: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط1،(د.ت)
-الملامح الشرقية في شعر المهجر-العصبة الاندلسية أنموذجاً-، حكيم حسين سوادي آلبو نصّار
-الناطقون بالضاد في امريكا، معهد الشؤون العربية الامريكية في تيويورك، ترجمة: البدوي الملثم، المطبعة التجارية الاهلية، بيروت، 1956م.

الرسائل والاطاريح:
-شعراء العصبة الاندلسية في المهجر، عمر الدقاق، مكتبة دار الشروق، بيروت، ط1، 1973م
-شعراء المهجر الجنوبي: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2009م
-شفيق المعلوف شاعر عبقر، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.

-فن الشعر من كتاب الشفاء، ابن سينا، تح: محمد سليم سالم، دار المعارف العمومية، القاهرة، (د.ت).

-مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1987م.

-فوزي معلوف، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، 2008م.

-قوة الإقناع ، جون كونديرا ، مكتبة الهلال للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (لا.ط) ، (.ت).
-كتاب العين: الفراهيدي، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1988م .
-معجم المؤلفين، تراجم مصنّفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.
-مفاتيح العلوم ، محمد أحمد بن يوسف الخوارزمي ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1409هـ - 1989م
-الاقناع والتخييل في شعر ابي العلاء المعري، بن ابراهيم ابراهيم، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015م.
-بنية الايقاع في قصيدة مديح الظل العالي، محمود درويش أنموذجاً، اسماء بن ناجي وايمان رواغة، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2018-2019م.

المجلات:

-قراءة براغماتية مقامية لموسيقى القافية ورسمها ديوان الاعشى انموذجاً، منال نجار، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الانسانية)، المجلد 31، 2017م.

مواقع الانترنيت:

- www.wikipedia.com
- موسوعة الفراشة: www.onlinebeutterfly .com